لقاء مع د. كاثلين ماثيوس

أجرى اللقاء: د. ماجد حمايل*

* مدير مركز التعلم المفتوح عن بعد/ جامعة القدس المفتوحة

في خضم التطورات المتسارعة على الصعد بعامة ، والصعيد التربوي بخاصة، وتداخل القضايا المستجدة في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، واستراتيجيات التعلم وأنماطه وأساليبه، والحاجة إلى معرفة أفضل السبل والشروط التي يجب توافرها من أجل الوصول إلى تعلم فعال، تقف مؤسسات العليم العالي أمام تحديات جسيمة ومركبة، فقضايا مثل الزيادة الهائلة على الطلب على التعليم الحديث، وتجاوز مؤسسات التعليم العالي طاقتها القصوى، والكلفة المتزايدة لنظم التعليم القائمة، وتغيير أدوار المتعلم والمعلم ، وآثار العولمة أصبحت تحديات كبيرة تواجه المؤسسات المذكورة في مجال التعليم والتعلم، وعلى متخذي القرار وضع استراتيجية شاملة تأخذ بعين الاعتبار حجم التحديات تلك.

ويرى كثيرون أن متطلبات تطبيق برامج التعلم الإلكتروني تتطلب كثيراً من الإعداد والتدريب، ناهيك عن ضرورة توافر استراتيجيه واضحة المعالم، وميزانيات ضخمة وبخاصة في فترة التحول الأولى. كما أن تصميم المحتوى الإلكتروني القائم، والاسترشاد بنماذج تصميم التعلم الإلكتروني (e-learning Design Models)، و مراعاة معايير التعلم الإلكتروني (Elearning Standards)، واختيار أدوات التعلم الإلكتروني، واستخدام استراتيجيات تعليمية تلائم بيئة التعلم الحديثة تبقى من أكثر القضايا الشائكة التي يتوجب على مؤسسات التعليم العالي أخذها بعين الاعتبار.

ومن أجل إلقاء الضوء على ما تقدم كان هذا اللقاء مع الخبيرة الكندية كاثلين ماثيوس، التي تعمل حالياً أستاذة زائرة لمدة عام في مركز التعليم المفتوح عن بعد.

د. كاثلين ماثيوس تحمل شهادة الدكتوراه في التربية، وتعمل في جامعة ماينتوبا الكندية برتبة أستاذ مشارك. زارت فلسطين أكثر من ثماني مرات، وكانت رئيس الفريق الذي قام بتقويم الجامعة في مشروع " التقويم الخارجي" الذي قدمت نتائجه قي شباط من عام 2007 ، ولها خبرة طويلة في التعليم والتعلم عن بعد والتعليم المستمر. وعملت في مناطق متعددة من العالم كخبيرة في المجالين المذكورين.

وفيما يأتي الأسئلة التي طرحت عليها والإجابات التي تفضلت بتقديمها:

أولا: هل لك أن تلخصي للقارئ تجربتك مع جامعة القدس المفتوحة؟

لقد تكونت لدي فكرة كاملة عن جامعة القدس المفتوحة من خلال مشروع التقويم الخارجي الذي موله البنك الدولي والاتحاد الأوربي في حينه. وعملت مع فريق متكامل ولمدة تزيد عن العام في ذلك المشروع. وكان الهدف الرئيس للتقويم هو تزويد الإدارة العليا في جامعة القدس المفتوحة بالمعلومات الضرورية لتمكينها من تطوير العمل في الجامعة والقيام بدور رئيس ومركزي في نظام التعليم الجامعي في فلسطين.

ثانيا: كيف تنظرين إلى النظام التربوي القائم حاليا في جامعة القدس المفتوحة، ومدى انسجامه مع فلسفة التعلم المفتوح والتعليم عن بعد؟

من خلال مشروع التقويم الخارجي للجامعة وجدنا أن أسلوب المحاضرة هو السائد في عملية التعليم رغم وجود بعض الوسائط التعليمية المساندة والتواصل المحدود من خلال البوابة الأكاديمية. وأرى أن هذا ليس كافيا حيث إن جامعة القدس المفتوحة رائدة في مجال التعليم المفتوح والتعلم عن بعد في فلسطين والمنطقة العربية. ووجدنا أن الجامعة واستعدادها للبدء بمشاريع ذات بعد استراتيجي متوافرة. وهي بدون شك قادرة على إحداث تغيير باتجاه ممارسات التعليم المفتوح عن بعد وتطبيقاته بحيث يواكب ما يجري في العالم ، فلدى الجامعة بنية تحتية تقنية جيدة، وكوادر يمكن الاعتماد عليها في إحداث تغيير تدريجي.

ثالثا: كيف يمكن البدء بالتحول التدريجي لتحقيق رؤية الجامعة الإستراتيجية للوصول إلى جامعة إلكترونية؟

أرى أن القرار الذي أُخذ لتبني نمط التعلم المدمج للسنوات الثلاث القادمة، وهذا ما أخبرني به رئيس الجامعة ونائبه الأكاديمي مؤخراً، هو قرار في الاتجاه الصحيح ويتطلب تطبيقه تكاتف الجهود، وأرى أنها الصيغة المثلى من خلال خبرتي في جامعة القدس المفتوحة، وهذا يعني التزاوج بين أساليب التعلّم التقليدية والأساليب الإلكترونية. وما يؤكد ذلك المؤشرات القوية التي تشير إلى نجاح مشروع تدريس عشرة مقررات بنمط التعلم المدمج في الفصل الأول من عام 08/07، وطرح 26 مقررا آخر في الفصل الثاني. واستحداث تقنية الصفوف الافتراضية مؤخراً

في تعزيز مكانة الجامعة على المستوى الإقليمي والدولي. كما أن تطبيق تقنية الفيديو التدفقي التي طبقت خلال الفصل الأول من العام الحالي على ستة مقررات هي تجربة جيدة إذا ما رُبطت بنشاطات تفاعلية من خلال أنظمة إدارة التعلم، وإلا فإنها لن تحقق الهدف المطلوب كونها عملية إرسال في اتجاه واحد.

رابعا: هل لك أن تضعي محاور لما ينبغي القيام به في الجامعة في المرحلة القادمة:

التوسع في نشر ثقافة التعلم الإلكتروني، وفلسفة التعليم المفتوح والتعلم عن بعد، وإنتاج معرفة في مجال التعلم الإلكتروني".

يجب العمل والتركيز على تغيير طريقة التدريس الممارسة حاليا من قبل معظم أعضاء الهيئة التدريسية، بحيث يجري التركيز على التعليم الدمج والتعليم المرتكز على الدارس (المتعلم).

1. العمل على تطوير قدرات المشرفين الأكاديميين من خلال برامج مستمرة للتدريب المهني المستمر والتركيز على برامج تدريبية في التعلم الإلكتروني والتصميم التعليمي واللغة الإنجليزية التي تعتبر حالياً مهمة جداً بالنسبة للتعليم العالي.
2. إحداث تغيير جذري في أنظمة التقويم المعمول بها بما ينسجم مع التغير في بيئات التعلم.
3. تحويل اللقاءات الأكاديمية الوجاهية الحالية إلى 50٪ وجها لوجه و 50٪ من خلال الإنترنت.
4. العمل على تكامل الأنظمة المختلفة في الجامعة (البوابة الأكاديمية، نظام إدارة التعلم المودل، وتقنيات الصفوف الافتراضية، وغيرها).
5. إيلاء البحث العلمي التطبيقي أهمية أكبر.
6. العمل على أن يُقدم برنامج التكنولوجيا والعلوم التطبيقية باللغة الإنجليزية، وأن يتم التوقف عن استخدام الكتب المطبوعة في هذا البرنامج.
7. القيام بمحاولات للتحرر من الكتاب الجامعي وبالتدريج، فالعالم غني جدا بمصادر التعلم.
8. العمل على توفير بيئة دعم طلابي من خلال الإنترنت.

9. العمل على إلغاء التعيينات الدراسية وبأسرع وقت ممكن.
10. العمل على توحيد الجهود المراكز الجامعة البحثية والإنتاجية والتقنية كافة.

خامسا: هل من نصائح يمكن لك تقديمها للمشرف الأكاديمي في جامعة القدس المفتوحة؟

بالنسبة لاحتياجات المشرفين الأكاديميين، فهم بحاجة للتركيز على استخدام التكنولوجيا في عملية التدريس، وتحقيق الألفة مع الممارسات التدريسية الحالية (على سبيل المثال قائمة الممارسات التعليمية الجيدة التي تقترحها تشيكرنج Chickering ودور التكنولوجيا في مساعدة الطلاب على الانخراط في العملية التعليمية). كذلك فإن المشرفين الأكاديميين بحاجة لتركيز أبحاثهم على الممارسات التدريسية في تخصصاتهم والمقررات التي يقومون بتدريسها.

كذلك تعد مركزية الممارسات التدريسية قضية أساسية بالنسبة لجامعة القدس المفتوحة، كجامعة تتبع النمط المركزي، بحيث يصبح كل معلم مسؤولا عن التقويم والتطوير المتواصل لممارساته التدريسية، وتطوير طاقاتهم التدريسية المختلفة.

سادسا: كما تعلمين أن هناك تعاونا بين جامعة مانيتوبا الكندية وجامعة القدس المفتوحة، برأيك ما الذي يجب عمله لتنشيط هذا الإتفاق وتفعيله؟

تتطلع جامعة مانيتوبا إلى ترتيب زيارات لأعضاء الهيئة التدريسية من جامعة القدس المفتوحة، وكذلك متابعة دراساتهم العليا، ومن الممكن مشاركة أعضاء الهيئة التدريسية في نشاطات التطوير المقدمة عبر الإنترنت، لكن الحاجز اللغوي يشكل عائقا أمام ذلك، كما تتطلع جامعتنا إلى تبادل الطلاب سواء عبر الإنترنت، أو من خلال الانتقال الإفتراضي (يشكل اتقان اللغة الإنجليزية عائقا أمام ذلك أيضا).

وأقترح شخصيا من خلال مشروع بناء القدرات أن تموَّل رحلة دراسية لاثنين من أعضاء الهيئة التدريسية من جامعة القدس المفتوحة، ليقضوا وقتا كافيا في مؤسستنا يمكنهما من خلالها زيارة مراكزنا الدراسية، وحضور أكثر من مؤتمر من تلك التي تعقدها جامعة مانيتوبا، وسأساهم في هذه الجهود بقدر استطاعتي.

كلمة أخيرة أود أن أضيفها:

أرى أن إنشاء مركز التعلم المفتوح عن بعد في جامعة القدس المفتوحة كان خطوة مهمة وفي الاتجاه الصحيح رغم تأخرها. وأرى أن تطبيق مشروع بناء القدرات في المناطق التعليمية من خلال التقويم الذاتي الممول من البنك الدولي والذي نسعى من خلاله إلى تحويل منطقة الخليل التعليمية إلى منطقة تدرس فيها المقررات الدراسية جميعها بنمط التعلم المدمج وبأحدث التقنيات المتاحة، سيسهم مساهمة كبيرة في تبني سياسة تعليمية يمكن تطبيقها على باقي المناطق التعليمية.